خطط دمشق

بقلم صلاح الدين المنجد

١٣

باب جيرون

باب جيرون هو الباب الشرقي في سور معبد جوبيتر الخارجي، وقد اختلف في معنى هذه الكلمة . فذهب بعض المؤرخين العرب إلى أن جيرون هو جيرون بن سعد بن عاد ، وبه سميت جيرون[١] . وجعل المسعودي جيرون هذا من الأحقاف[٢] ، في حين ذكر البدري أن الذي بنى باب جيرون هو سليمان عليه السلام، بنته له الشياطين . وكان الذي تكفل ببنائه اسمه جيرون[٣]

فنسبة هذا الاسم ، عند العرب ، تقترب من الأسطورة ولا تستند إلى أساس صحيح .

أما العلماء المحدثون ، فذهبوا في معنى هذه الكلمة مذاهب أخرى.

فذهب سوقاجه أن أصل الاسم ما يزال غامضاً[٤] .

واعتقد دوسو Dussaud أن الكلمة مشتقة من الجذر GYR أو GWR الآرامي. ومعناها « الحرم » أو الملجأ الذي يكون من دخله آمناً[٥] . فيكون معنى باب جيرون إذن ، باب الحرم .

وهذا المعنى قريب من الحقيقة ، لأن هذا الباب كان يُفضي إلى معبد جوبيتر ، هذا المعبد الذي مَن دخله وأوى إليه كان آمناً .

وقد شُهر هذا الباب بضخامته وروعته ، حتى انه نُسب إلى صنعة

١) صبح الأعشى ٤ : ٩٣

٢) مروج الذهب ، (طبعة باريس) ٣ : ٢٧١

٣) نزهة الأنام ، ص ٢٣

٤) Sauvaget, *M. H. D.*, p. 27

٥) Dussaud, *Temple de Jupiter Damascénien. Djairoun*, (dans *Syria*, T. III, 1922) pp. 240 - 245.

الشياطين . وكانت العرب تنسب كل ما عظم صنعه إلى الجنّ والشياطين .

وقد كانت شهرته ذائعة منذ العصر الجاهلي ، فقد ذكر عديّ بن زيد (جيرون) في شعره لما ورد دمشق فقال :

وربّ دار بأسفل الجرْع من دو مة أشهى إليّ من جيرون
وندامى لا يفرحون بما نا لوا ، ولا يرهبون صرف المنون [1]

وذكرته الشعراء في القرن الأوّل للهجرة أيضاً . وصنع معبد لحناً في شعر ، فيه ذكر جيرون . وهو :

القصر فالنخل فالجبّا بينهما أشهى إلى النفس من أبواب جيرون [2]

أما وصف باب جيرون فقد ورد عند المسعودي . ولعله أقدم من وصفه ، لأنه شاهده في القرن الرابع . قال : « وباب جيرون بنيان عظيم عليه أبواب من النحاس عجيبة . »[3]

وفي هذا القرن — أي الرابع — نجدهم يستون ما بين هذا الباب والباب الذي في سور المعبد الداخلي (أي باب المسجد الشرقي) سوق جيرون [4] .

ثم أطلق هذا الاسم ، في القرن نفسه ، على باب الجامع الشرقي . قال المقدسي : « باب البريد على اليمين كبير ، وله فرخان عن يمين وشمال . وباب جيرون على اليسار ، على ما ذكرنا . ويُصعد إليه في درج يجلس فيه المنجمون »[5]

وقال ياقوت أيضاً : « المعروف اليوم أن باباً من أبواب الجامع بدمشق — وهو بابه الشرقي — يُقال له باب جيرون . وفيه قوّارة ينزل عليها بدرج كثيرة ، في حوض من رخام . وقبة خشب يعلو ماؤها نحو الرمح »[6]

وهذه القوّارة التي يذكرها ياقوت كانت انشئت في القرن الخامس سنة

١) الأغاني (دار الكتب) ٢ : ١٠٢
٢) الأغاني (دار الكتب) ١ : ٨
٣) مروج الذهب (طبعة باريس) ٣ : ٢٧٢
٤) المصدر السابق
٥) أحسن التقاسيم ، ص ١٥٨
٦) معجم البلدان (طبعة وستنفلد) ٢ : ١٧٣

٤١٦ هـ. وجرت سنة سبع عشرة وأربعمائة. وقد أجرى ماءها الشريف القاضي فخر الدولة أبو يعلى حمزة بن الحسن[1].

وهكذا نجد أن اسم باب جيرون انتقل من الباب الشرقي في سور المعبد الخارجي الى الباب الشرقي في الجامع نفسه.

وقد وصف باب جيرون ابن جبير الذي زار دمشق في القرن السادس فقال:

«وباب جيرون مفروش بالبلاط الطويل العريض (يقصد باب الجامع) وهو خمسة أبواب مقوسة لها ستة أعمدة... وقد انتظمت أمام البلاط أدراج يتحدر عليها الى الدهاليز، وهو كالمندق (يقصد سوق جيرون) العظيم يتصل الى باب عظيم الارتفاع، ينحصر الطرف دونه سموّا، قد حفّته أعمدة كالجذوع طولا وكالاطواد ضخامة (يقصد باب جيرون الاصلي). وبجانبي هذا الدهليز أعمدة قامت عليها شوارع مستديرة فيها حوانيت العطّارين وغيرهم، وعليها شوارع مستطيلة فيها الحجر والبيوت. وفي وسط الدهليز حوض بانبوب صفر (يقصد الفوّارة) يزعج الماء بقوة فيرتفع إلى الهواء أزيد من القامة، وحوله أنابيب صفار ترمي الماء علوّا فيخرج عنها كقضبان اللجين، وكأنما أغصان تلك الدوحة المائية ومشاتلها ابدع من ان يوصف»[2].

وفي القرن السادس نجدهم يُطلقون اسم جيرون على المحلّة كلها. فقد احترقت سنة ٥٥٩ هـ بعد رجوع أسد الدين شيركوه الى دمشق. فقال عرقلة الشاعر يمدحه ويذكر ذلك:

جار صرف الردى على جيرونِ وسقى أهلها كؤوس المنونِ
أصبحت جنّة وأمست جحيماً تتلظى بكل قلب حزينِ
كيف لا تُذرف الدموع عليها وهي في الشام نزهة للعيونِ
حبّذا حصنها الحصين لقد كا ن جمالاً لكل حصن حصينِ
كل حين لها حريق جديد ليت شعري ماذا لها بعد حينِ
كل هذا البلاء عاقبة الفسق وشرب الخمور والتلحينِ[3]

وتدلّنا هذه الأبيات على جمال جيرون، وأنها كانت نزهة للعيون، وأن حصنها كان رائعاً جميلاً، وأنها قد احترقت قبل هذه المرة بدليل قوله:

---

١) تهذيب ابن عساكر لبدران ٩ : ٢٠٤
٢) الرحلة، ص ٢٦١ وما بعدها؛ ونزهة الانام، ص ٥٧
٣) كتاب الروضتين ١ : ١٣٣-١٣٢

« كل حين لها حريق جديد »

والبيت الأخير يشير إلى أن جيرون كانت محل فسق وشرب خمر ولهو. لأن جمالها ، وحسن نافورتها يساعدان على ذلك . يؤيد ذلك أن ابن رجب ذكر: « أنهم جعلوا الملاهي في دولة الأفضل ابن صلاح الدين على درج جيرون. فجاء الحافظ عبد الغني المقدسي يوماً فكسر شيئاً عظيماً منها. »[1]

وقد تغنى ابن منير بظباء جيرون فقال :

ولي في باب جيرون ظباء أعاطيها الهوى كأساً فكاسا[2]

فكلّ ذلك يدلّ على ما كانت عليه محلة جيرون من الجمال وما كان فيها من اللهو .

على أننا نلاحظ أنه أصبح لباب جيرون الأول شأن ، في القرن السابع ، وكان سبباً لمناقشات بين الفقهاء ، وتأليف رسائل فيه .

فقد كان هذا الباب في الأصل ، باباً كبيراً في الوسط ، على جانبيه فرخان ، أو بابان صغيران. فحدث أن سُدّ الفرخ الشمالي واتخذ داخله مسجداً. ويحدثنا أبو شامة عن سبب ذلك في رسالته المسماة « الباعث على إنكار البدع والحوادث ».

يقول أبو شامة :

« ذكر لي بعض من لا يوثق به ، في شهور سنة ست وثلاثين وستماية أنه رأى مناماً يقتضي أن ذلك المكان دُفن فيه بعض أهل البيت . وقد أخبرني عنه ثقة أنه اعترف له أنه افتعل ذلك . فقطعوا طريق المارة فيه ، وجعلوا الباب بكماله مسجداً منصوباً . وقد كان طريقاً يضيق بسالكه . »[3]

وسئل علاء الدين ابن العطار ، العالم المحدّث المتوفى سنة ٧٢٤ عن هذا الباب والمسجد فقال :

« ان الضريح باطل محدث لا أصل له . احدث لاغراض فاسدة في المائة السابعة . ولم يذكره الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في قبور دمشق . ولا يُعرف في ذرّية علي بن ابي

---

١) ذيل طبقات الحنابلة (مخطوطة في الظاهرية رقم ٦١ تاريخ) ورقة ١٨٣ ب

٢) معجم البلدان

٣) قرة العيون في أخبار باب جيرون (مخطوط في الظاهرية) ورقة ٤ آ

طالب بأنّ اسمه ملكه ، فيجب إزالته وإعادته إلى ما كان عليه ، وهو طريق للمسلمين مشترك بين خاصتهم وعامتهم . . . »(١)

وألّف ابن ناصر الدين المتوفى سنة ٨٤٢ هـ ، جزءاً يتعلّق بالمكان المذكور قال فيه :

« وسبب هذه البدعة الشنيعة أن بعض السوّال جلس عند الباب ، وسأل الناس من دنياهم ، فكأنه لم يُفتح عليه بشيء . فأدخل رأسه في جيبه وزبق ثم رفع رأسه صائحاً : يامعشر المسلمين ها هنا قبر الست ملكة ، وأنتم تمشون فوقها ، فاجتمع حوله عوام الناس واعتقدوا صدقه . . . فتموا الناس من المرور في ذلك المكان ثم بنوه مسجداً وأحدثوا فيه قبراً لا على شيء ، ونقشوا على عتبة الباب اسم ملكة بنسب غير صحيح » .(٢)

وفي القرن الثامن احترق باب جيرون . ذكر ابن شاكر في حوادث سنة ٧٥٣ :

أنه وقع في سادس عشر صفر حريق عند باب جيرون وارتفع ارتفاعاً عظيماً واستمر الى أثناء النهار . . . واستمر بالباب الاصفر النحاس ، فبادر ديوان الجامع اليه فكشفوا ما عليه من النحاس ونقلوه من يومه إلى خزانة الخاصل بقصورة الحلبية بمشهد علي . ثم غدوا عليه يكسرون خشبه بالفؤوس وكان من خشب الصنوبر ، وهو في غاية القوة والثبات . وتأسف الناس عليه لكونه من محاسن البلد ومعالمه ، وله في الوجود ما يقيف على اربعة آلاف سنة ، ولم ير باب أوسع منه ولا أعلى فيما يعرف من الأبنية من الزمان منه ، وله غلفان من النحاس الاصفر بمسامير كبار من النحاس بارزة . وهو من عجائب الدنيا ومحاسن دمشق .»(٣)

وفي القرن التاسع أصاب البابَ حريق جديد في فتنة تيمورلنك ، فاحترق المسجد المنصوب أيضاً وزال ، ولم يبقَ من آثاره سوى النقش على الباب .

ولم يزل المسجد كوم تراب عدة سنين حتى جاء كمشبغا طولو ، وكان نائباً بقلعة دمشق بعد الثلاثين والثمانماية . وكان من خواصه شخص اسمه فارس ، فعمد الى هذا المكان ، وأعاد بناءه مخزناً توضع فيه الأخشاب وغيرها . وكانت تقع فيه منكرات يراها المارّة . ووُجد فيه قتيل في بعض الأحيان . ثم تهدم وزال سقفه . فسعى بعضهم في تجديد عمارته بتسليط الرافضة ، فبلغ ذلك أهل السنة ، فصدّوا عن عمارته ، ورفعوا قصته إلى السلطان الملك

١) قرة العيون في أخبار باب جيرون ورقة ٥ آ
٢) المصدر السابق ، ورقة ٦ آ
٣) المصدر السابق ، ورقة ١ آ

الأشرف قايتباي ، فرسم بما ذكره العلماء . وورد مرسومه بذلك في شهور سنة اثنين وتسعين وثمانمائة . ففتح الباب ، وأعيد طريقاً للدارة ، وأزيل النقش المفترى [1]

وفي القرن العاشر بُني في هذا الباب الصغير المنقوش أعلاه ، حائط وكذا قبليه ، وجعل مخزن حطب للقرن قبليه .

ثم أحدث نائب الشام جان بردى الغزالي ، لما أراد الخروج على السلطان سليم بن عثمان ، داخل الباب الكبير بوابة بقنطرة حجر . وأخذ قبل أن يركب لها باباً . [2]

* * *

هذا مجمل ما وجدناه من النصوص العديدة عن باب جيرون وسويقة جيرون وحلة جيرون ، حتى القرن العاشر . ويبدو أن المسجد قد أعيد في

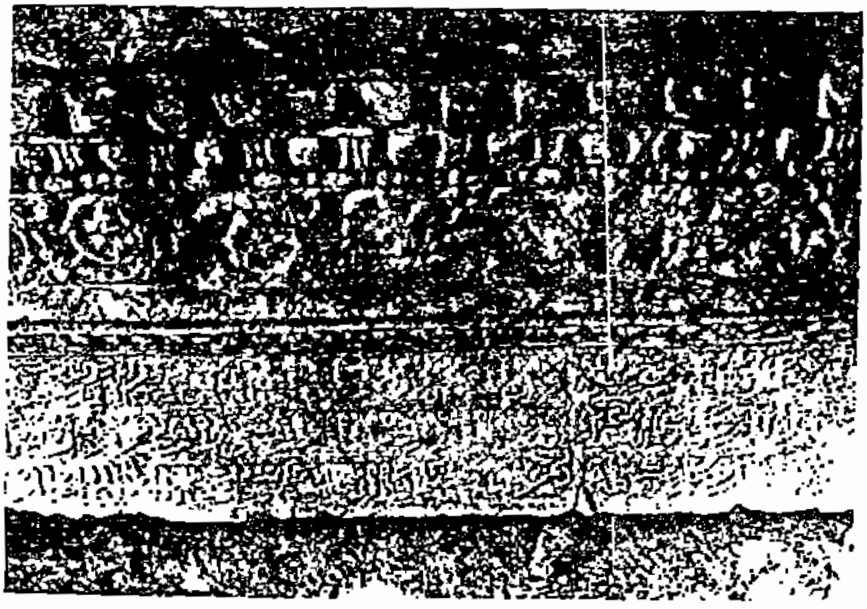

المرسوم المملوكي فوق باب جيرون الصغير

١) المصدر السابق ورقة ٦ ب

٢) المصدر السابق ورقة ٦ ب

العهد العثماني . وما يزال قائماً في أيامنا . ومـا تزال عضادتا الباب الكبير قائمتين . أما البابان الصغيران ، فالجنوبي مـسدود تُرى عتبته داخل دكان . والشمالي كان مختفياً تحت الدور ، حتى كان عام ١٩٤٦ فكشف في عهد مدير الآثار السورية السيد فرانك براون . وظهر على عتبتـه نصّ المرسوم الذي أرسله قايتباي .

وقد رممت مديرية الآثار يومئذ هذا الباب من الداخل ، أي من المسجد وظهر تحت الباب بئر .

وفي اوائل عام ١٩٤٨ بينما كانت بلدية دمشق تشقّ الطريق في النوفرة إلى هذا الباب (أي بسوق جيرون) امارة القُنى التي تسوق المياه القذرة وُجدت الأرض الرومانية لباب جيرون الكبير ، على عمق ٤٣٠ سم .

١٤

تربة العفيف بن أبي الفوارس

في الكتاب الثالث من « مباني دمشق الأيوبية » لسوڤاجه دراسة بعنوان « قبر مقفل »[1]

وقد ذكر المؤلف أن المصادر لم تقدم له أيّ عنصر لبيان نسبة القبر.

وهذا القول آتٍ عن عناية المؤلف بالأمور المعمارية ، وإهماله في دراساته، أحايين كثيرة ، التفصيلات والامور التاريخية . لأن هذا القبر معروف ، وهو تربة العفيف بن أبي الفوارس .

فقد ذكر أبو شامة[2] ما يلي:

« وفي ثامن رجب (سنة ٦٦٣ هـ) توفي العفيف بن أبي الفوارس وكان شاباً حسناً تولى عمالة الجامع ، وعمالة خزن الأيتام جمعا له لحذقه بهذه الصناعة . ودُفن بالتربة التي أنشأها والده جوار الخانقاه الشيلية بسفح جبل قاسيون، وكان أبوه أعدّ القبر لنفسه فدفنه فيه. »

واجهة تربة العفيف بن أبي الفوارس.

---

١) Sauvaget, *Monuments Ayyoubides de Damas*,III, p. 137.

٢) ذيل الروضتين (القاهرة ، ١٩٦٧) ص ٢٣٠

وقال دهمان :

« وأما تربة العفيف ففي غربي الخانقاه الشبلية ، وعلى مقربة منها . ويدعوها العوام بعائشة الباعونية المتوفاة سنة ٩٢٢ هـ . وقد جاء هذا الوهم من أن الجنينة التي لصيق هذه التربة كانت تدعى الجنينة الباعونية . فاستنتجوا من ذلك أنها هي عائشة الباعونية . ووجود الخانقاه الشبلية على مقربة منها شاهد على أنها تربة العفيف . ثم طراز بنائها أيوبي لا مرية فيه . وهو مخالف كل المخالفة لطراز البناء في آخر العصر المملوكي . » (١

وقد أثبت ـ وفاجه أن البناء أيوبي .

وأما الخانقاه الشبلية التي سر ذكرها في نص أبي شامة فهي شمالي المدرسة الشبلية التي بناها شبل الدولة كافور المتوفى سنة ٦٢٣هـ ، يفصل بينهما الطريق[٢]

وقد رأيتُ نصف عتبتها العليا ، وقد رُميت في تربة العفيف ، وما تزال[٣] .

واجهة تربة العفيف بن أبي الفوارس ، وبقايا القناطر و × تشير الى مكان الخانقاه الشبلية

ويتضح أن التربة ليست مجهولة . وقد كان فيها مسجد اسمه مسجد العفيف بالشبلية[٤] . ولم يكن المدفون في التربة وضيعاً ، رغم بساطة القبر ؛ بل كان نابهاً ، حاذقاً تولى عمالة الجامع وعمالة مخزن الأيتام .

وقد حدّد دهمان موقع هذه التربة في مخطط الصالحية[٥]

---

١) القلائد الجوهرية لابن طولون (تحقيق دهمان) : انظر باب التراجم والخوانق .

٢) انظر مختصر تنبيه الطالب ص ٩٣ و ١٤٦ - المروج السندسية لابن كنان ص ٤١

Sauvaget, *M. A. D.*, III, p. 131–136.

٣) انظر الكتابة المنقوشة على هذه العتبة في : Répertoire,

٤) القلائد الجوهرية

٥) رقم ١٠٧

١٥

تربة معين الدين أنر

في شهر آب من عام ١٩٤٦ ، كنا نبحث عن المدرسة الحصية التي تذكر المصادر أنها عند الشامية البرّانية . فلفت نظرنا وجود طاحون قديمة في جنوب الشامية ، أمامها باب ضخم عضادتاه رومانيتان ، بحجارة سود ، نقش عليها عناقيد العنب وورق الكرم . ودخلنا ، من هذا الباب ، إلى صحن دار أو مدرسة قديمة ، تحيط بها غرف صغار ، بنيت بالحجر ، يدلّ لحنها انها من أواخر عصر المماليك . وفي جنوب الساحة ، وجدنا قبة قديمة ما يزال أعلاها المبني بالآجرّ باقياً . وقد هدم القسم الأعلى من طاستها وسُطّح . ولها ، في هذا القسم ، ثمان نوافذ سُدّت كلها .

قبة معين الدين

ووجدنا لهذه القبة باباً ، قد سُدّ ، وهو من شمالها أعني من ناحية صحن الدار . وعلى الباب عتبة فيها كتابة بخط نسخي أيوبي . وقد ترك بعض كلماتها بلا نقط .

وجهدنا في قراءة الكتابة ، بعد تنظيفها ، فإذا فيها ما يلي :

١) بسم الله الرحمن الرحيم . يا ايها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا

٢) ولا يغرنكم باقه الغرور . عملت هذه القبة على قبر الامير الاسفهسلار الكبير
٣) اتابك معين الدين الفقير الى رحمة الله الشهيد السعيد انر رحمه الله . توفي يوم الأحد
٤) سابع عشر ربيع الاول سنة اربع واربعين وخمسماية وا [و] قفت الخاتون الكبيرة امار رحمها
٥) الله على هذه القبة البستان التي (كذا) تحتها والفندق واثنا عشر دكان وثلثة عشر بيت وقف عليها .

باب تربة معين الدين أنر

وكانت مفاجأة. فقد كنا امام قبة الاتابك معين الدين أنر صاحب دمشق، والملقب بملك الامراء[1] والذي تزوج نور الدين ، ومن بعده صلاح الدين ، ابنته عصمة الدين صاحبة التربة الخاتونية بالسفح .

ومعين الدين هو الذي أنشأ المدرسة المعينية بحصن الثغيين[2]. وهي من اوليات المدارس التي انشئت بدمشق . وكان على بابها ما يلي: .

« بسم الله الرحمن الرحيم . أنشأ هذه المدرسة المباركة الأمير الكبير الاسفهسلار معين الدين أنر بن عبد الله عتيق الملك المجاهد المرابط الغازي طغتكين من خيرات سيده المرحوم وذلك في سنة اربع وعشرين وخمسماية . »[3]

ولم يذكر النعيمي في كتابه تنبيه الطالب ، والعلوي والبقاعي وبدران

١) تنبيه الطالب للنعيمي ١ : ٥٨٨
٢) هذا هو الاسم الصحيح للحصن . وقد أخطأ جعفر الحسني في تنبيه الطالب عندما أثبته الثغيفين (ص ٥٨٨) . وهو مقابل حصن جيرون . الأول من غرب المسجد والثاني من شرقه .
٣) *Répertoire*, VIII, p. 165, N° 3033

في مختصراته ، تربة معين الدين هذه في باب التبن . وإنما ورد في الروضتين نقلاً عن القلانسي أن معين الدين :

« قضى نحبه في ليلة الثالث والعشرين من ربيع الآخر ودُفن في إيوان الدار الأتابكية التي كان يسكنها ثم نُقل الى المدرسة التي عمرها . قال أبو شامة : قبره في قبة بظاهر المعونة شمالي دار البطيخ الآن واسمه مكتوب على بابها . فلعله نقل من ثَمَّ إليها » (١)

وذكر الذهبي في مختصر تاريخ الاسلام « أن قبره في قبة خلف دار البطيخ . »(٢)

وأوضح في العبر انه مدفون بقبته التي بين دار البطيخ والشامية .(٣)

وهذه الأوصاف كلها تنطبق على مكان التربة .

وقد تبين لنا أن هذه التربة اتخذت داراً فسُدّ بابها الشمالي ، وفتح باب جديد من الشرق على الزقاق وجعل باباً للدار .

* * *

أما الكتابة التي على عتبة باب التربة فذات شأن :

١ً – فهي تصحح تاريخ وفاة معين الدين الذي ذكره ابو يعلى . فقد ذكر أنه توفي في ليلة الثالث والعشرين من ربيع الآخر ، بينما تنص الكتابة أنه توفي في سابع عشر ربيع الأول .

٢ً – تحدد لنا مكان دار البطيخ ، وهي دار البطيخ الثانية ، وليست العتيقة .

٣ً – تدلنا على ان التربة عُملت بعد وفاة معين الدين . وهذا يؤيد ما ذكره أبو يعلى وأبو شامه من أنه نقل إليها . وتدلنا على أن ابنته وقفت عليها أوقافاً من بينها الفندق .

٤ً – لا نعلم فندقاً كان في ذلك المكان الا الذي كان غربي دار البطيخ والذي ورد ذكره في الكتابة المنقوشة على عتبة باب جامع التوبة . ولعله هو المقصود .

---

١) الروضتين ١ : ٦٤

٢) تنبيه الطالب ١ : ٥٨٨

٣) تنبيه الطالب ١ : ٥٨٨

وقد حددنا موضع التربة في مخطط دمشق القديمة .[1] وعسى أن تُعنى دائرة الآثار بهذه التربة فتسجلها وترممها وتحول دون إخفاء معالمها وتخريبها.

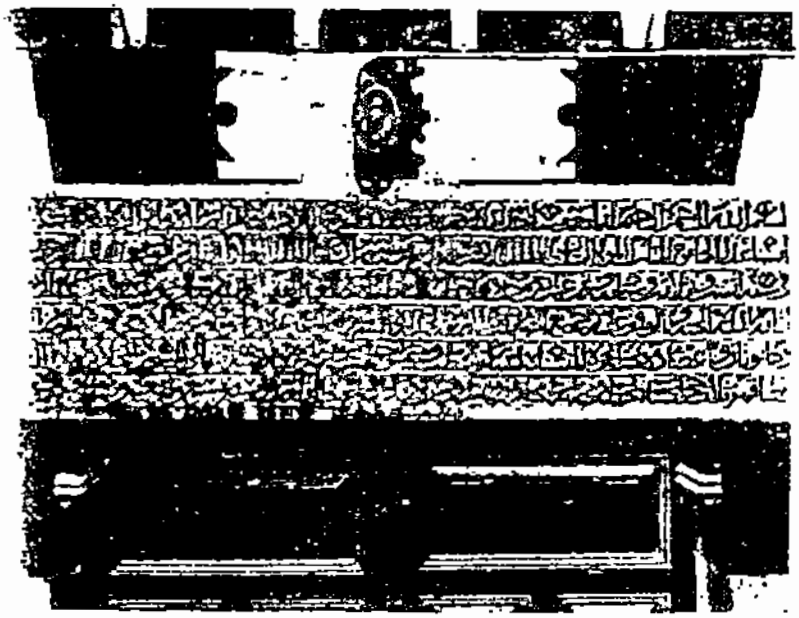

الكتابة الموجودة فوق عتبة جامع التوبة

١) للتوسع في ترجمة معين الدين انظر :
الروضتين ص ٦٤ ١٠٦
ذيل تاريخ دمشق للقلانسي ، ص ٣٠٦ (وانظر الفهرست)
تنبيه الطالب ١ : ٥٨٨
مختصر التنبيه ص
Sauvaire, *Description*, *J. As.* 1894, II, 321
وقد زرنا التربة أول مرة مع الشيخ دهمان . ثم زرناها مرة ثانية في تشرين الثاني ١٩٤٦ مع السيد فرنك . ا . براون ، مدير الآثار السورية يومئذ ، وصور التربة من تصويره.

١٦

تربة سُتَيتَة

زوجة تنكز

بناء أثري مسجّل ، يرجع عهده إلى زمن المماليك يقع في زقاق المحكمة[1] .

ورد اسمه في قائمة الأبنية الأثرية المسجلة « تربة الشيخ نحلاوي » والصحيح أن اسمه الاول هو « تربة الخوندة ستيتة » وهي زوجة نائب الشام تنكز (ـ ٧٤٠) ، وابنة الامير كوكباي ، توفيت سنة ٧٣٠ هـ .

وقد أثبت النعيميُ في التنبيه ، والمطويُ في مختصره[2] . هذه التربةَ في باب الترب باسم « التربة الكوكبائية » وحددا موقعها شرق الاكزية وغربي الطيبة .

وذكر ابن كثير أن « الخوندة ستيتة بنت الامير سيف الدين كوكباي زوجة نائب الشام تنكز ، توفيت بدار الذهب ، وصُلي عليها بالجامع ثالث رجب ، ودُفنت بالتربة التي أمرت بإنشائها بباب الخواصين . وفيها مسجد ، وإلى جانبها رباط للنساء ومكتب للايتام »[3]

وعلى باب هذه التربة كتابة في سطرين بخط نسخي مملوكي جميل ، هذا نصُّها الصحيح :

١) بسم الله الرحمن الرحيم . امر بانشاء هـذه التربة المباركة المقر الشريف[4] العالي المولوي الاميري الكبيري الغازي المجاهدي

٢) المالكي المخدومي السيفي سيف الدنيا والدين تنكز نائب[5] السلطنة المعظمة بالشام المحروس عز نصره . وكان الفراغ في شهر ذي الحجة [سنة] ثلثين وسبعماية .

---

١) مخطط دمشق القديمة ، رقم ٦٠

٢) مختصر التنبيه ، ص٣٠٥

٣) البداية والنهاية ١٤ : ١٥١

٤) أثبتها طلس في ذيل مثار المقاصد ص ٣٤٨ : « الأشرف » ، وهو خطأ

٥) أثبتها طلس في ذيل مثار المقاصد ص ٣٤٨ : « بدر » وهو خطأ

ويدل نص ابن كثير على انها هي التي أمرت بانشاء التربة ، على حين تدل الكتابة التي على بابها أن زوجها الامير تنكز هو الذي أمر بذلك .

وقد ذكر النُعيمي نقلاً عن البرزالي أنها « دُفنت بمكان اشترته لدفنها إلى جانب المدرسة الطيبة بقرب الخواصين ، داخل دمشق . وشرع في عمارة المكان الذي دُفنت فيه ، وأحضرت الآلات والصناع . وبلغني انها اوصت أن يُعمل قبة على الضريح وفي جواره مسجد ورباط للنساء ، فعُمل ذلك جميعه .»[1]

فتكون ستيتة هي التي اشترت المكان، وأمرت بانشاء التربة ، والمسجد والرباط . فلما توفيت أمر تنكز بعمارة ذلك .

* * *

أما نسبة التربة الى النحلاوي فآتية عن كونها أصبحت في القرن الثاني عشر الهجري زاوية يقيم فيها الأذكار الشيخ أحمد النحلاوي المتوفى سنة ١١٥٧ هـ وكان عارفاً ناسكاً . وكان مقيماً في المدرسة النورية عند محكمة الباب ، ويقيم الذكر في هذه التربة التي اتخذت اسماً جديداً هو الخاتونية. وقد دُفن بها عند وفاته .[2]

وقد وصف وثاجه هذه التربة وصفاً موجزاً .[3] وأبان طلس حالتها الحاضرة .[4]

١) تنبيه الطالب (مخطوط بخزانة المجمع العلمي بدمشق رقم ٣٧) ص ٤٨٢

٢) انظر ترجمته موسعة في سلك الدرر للمرادي ١ : ١٦٦ - ٢٠٥

٣) Sauvaget, *M. H. D.*, p 69.

٤) مُنار المقاصد ، (الذيل) ص ٢٤٨

١٧
أوهام آثارية

١

نعرض هنا نماذج من الاوهام الآثارية التي صادفناها أثناء مطالعاتنا في الكتب التي أُلفت عن آثار دمشق وتاريخها الطبوغرافي .

فما وجدناه في كتاب اسمه « نزهات أثرية » ألفه الدكتور سليم عادل عبد الحق ، يوم انعقد مؤتمر الآثار الاول للبلاد العربية ، ليوزع على أعضاء المؤتمر المذكور ما يلي :

١ ــ جاء في المخطط الذي صدّر به المؤلف كتابه اسم « التابتية » وهو خطأ . والصواب أنه « المدرسة الأتابكية » . انشأتها الحجة الاتابكية خاتون زوجة الملك الاشرف الايوبي ، المتوفاة سنة ٦٤٠ هـ .

مئذنة المدرسة الأتابكية

انظر : تنبيه الطالب للنعيمي ١ : ١٣٩ – البداية والنهاية ١٣ : ٢٧ ، ١٦١ – ذيل الروضتين ص١٧٣ – غُرَر الفوائد ص١٩٦ – سوثابية = M. H. D. ، ص ١٠٠

٢ ــ وجاء في المخطط اسم « المدرسة الشركسية » . وهو اسم عامي . والصواب « المدرسة الجهاركسية » . بنيت للامير جهاركس الصلاحي المتوفى

سنة ٦٠٨ هـ. وقد يُقال له في بعض المصادر جركس ، وعندئذ يمكن تسميتها « الجركسية » .

انظر : مختصر التنبيه ص ٨٢ - البداية والنهاية ١٣ : ٦٢ ، ١٥١ - ذيل الروضتين ص ٧٩ - سجل الكتابات = Rép. ، ١٠ : ٦٤

٣ - وجاء في المخطط اسم « تربة اليغمورية » . وهذه الاضافة غير صحيحة أولا . والاسم كله خطأ ثانياً . والصحيح أنها « تربة العالمة أمة اللطيف » ، كما تشير إلى ذلك الكتابة القديمة الموجودة في الحائط الجنوبي منها ، المطل على الصحن .

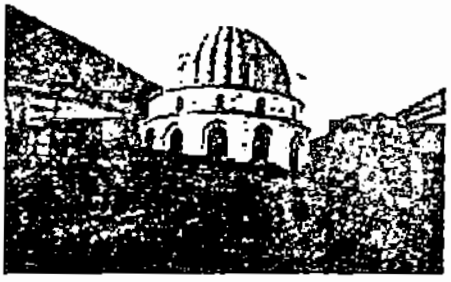

تربة أمة اللطيف

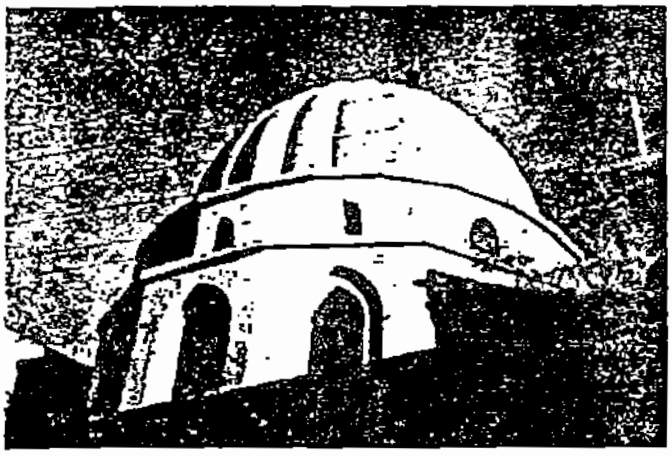

قبة تربة أمة اللطيف

انظر : المشرق ج ٣ ، ١٩٤٨

٤ - وجاء في المخطط اسم « المدرسة المريدانية » وهو خطأ . ولا ندري إلى أي شيء نسبة هذا الاسم الذي أثبته . والاسم الصحيح هو « المارداتية » أوقفتها زوجة الملك المعظم ، وبنت صاحب ماردين سنة ٦٢٤ هـ ، بعد أن

أنشأتها سنة ٦١٠هـ. وقد وردت هذه اللفظة أيضاً في الكتابة القديمة الموجودة على باب المدرسة المرشدية ورسمت « المارداني ».

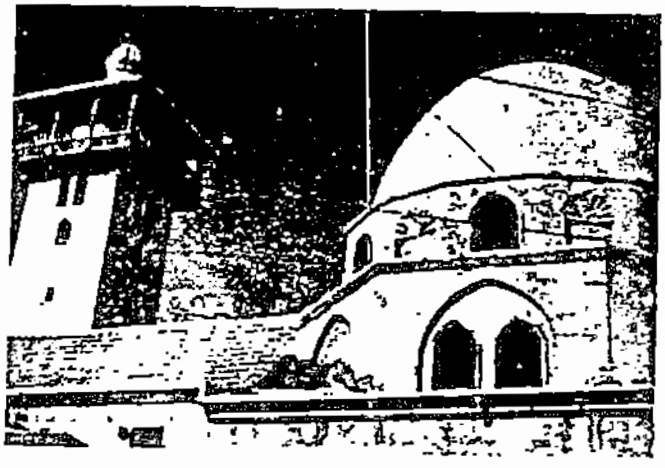

المدرسة المارداني
الفية والمئذنة

انظر : مختصر التنبيه ص ١٠٧ – التنبيه ١ : ٥٦٣ – المروج السندسية ص ٥٤ – مثار المقاصد ص ٢٤٦ – سجل الكتابات ١١ : ٢٢٣.

٥ – وجاء في المخطط اسم « تربة الدحداح » وهو خطأ. فهناك أمام مقبرة مرج أبي الدحداح تربتان. الاولى – وهي التي أثبتها الدكتور سليم عادل – تسمى « التربة المنكورسية » كما تدل الكتابة الموجودة داخل التربة على القبر. وهي تنسب إلى الامير الكبير السعيد الشهيد فخر الدين موسى ابن مظفر الدين عثمان ابن ناصر الدين منكورس المتوفى سنة ٧٠١ هـ.

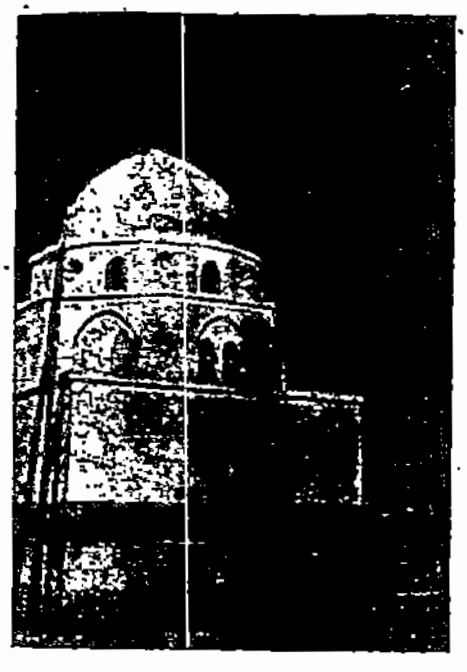

التربة المنكورسية

وإلى غرب هذه التربة تربة ثانية تزعم العامة أنها تربة عبد الرحمن حفيد أبي بكر الصديق . وقد انكر ذلك الاستاذ محمد دهمان في مقال نشره في مجلة التمدن الاسلامي .

انظر المجبي ١ : ٢٠٠ – ثمار المقاصد ص ٢٣٨ .

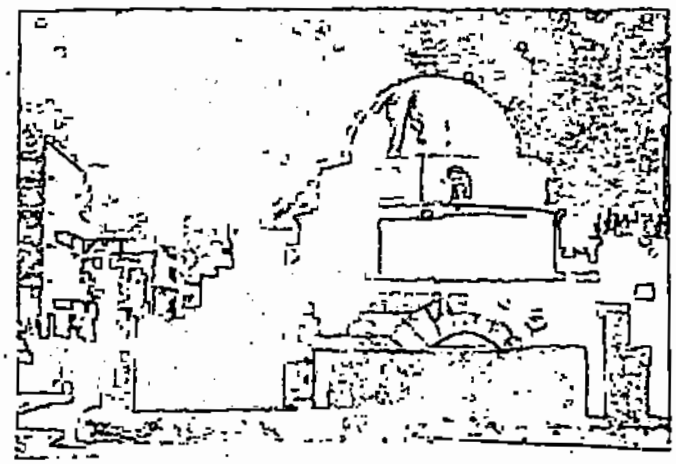

تربة ابن المقدم بعد ترميمها

٦ – وجاء في المخطط اسم « تربة طلحة » وهو اسم عامي . والاسم الصحيح « تربة ابن المقدم » التي تنسب إلى الامير ابراهيم بن محمد بن المقدم المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . ولنا في نسبة هذه التربة رأي نحتفظ به الآن.

انظر : مختصر التنبيه ص ١١٠ – تربة ابن المقدم لخالد معاذ (بالفرنسية) – دراسات معمارية ، دمشق ، لمرزفلد ١ : ١٤

٧ – وجاء في المخطط اسم « جامع السادات » ، وهو اسم عامي ، وغير صحيح في عاميته أيضاً . فالاسم العامي هو « جامع السادات الزينبية ». وأما الاسم الذي تذكره المصادر القديمة فهو « مسجد القصب » وقد اطلق عليه أيضاً اسم « جامع منجك » بعد ان جدده الامير ابن منجك .

انظر : البداية والنهاية ١٤ : ٩١ ، ١٣ : ١٤٧ – وقد وهم طلس في تسميته أيضاً في ذيل ثمار المقاصد .

٨ – وجاء في المخطط اسم « جامع الورد » وهو اسم عامي اطلق على الجامع في العصر الاخير . والاسم الصحيح « جامع برسباي » لان برسباي نائب الشام هو الذي امر ببنائه .

٩ – وجاء في المخطط اسم « جامع الشامية » وهو خطأ . فهذه مدرسة اسمها « المدرسة الشامية البرّانية » أمرت ببنائها ست الشام اخت صلاح الدين. وقوله هذا خلط بين المدارس والجوامع.

انظر : البداية والنهاية ١٣ : ٤٨ – ذيل الروضتين ص ١١٩ – مختصر التنبيه ص ٤٦

١٠ – وجاء في المخطط اسم « جامع يلبغا » وهو خطأ. وما ندري لماذا جعل المؤلف الاسم ممدوداً وأثبت الهمزة في آخره . والاسم الصحيح «يلبغا» وهو الامير سيف الدين نائب الشام .

انظر : البداية والنهاية ١٤ : ٢٥٦ – نزهة الأنام في محاسن الشام ص ٦٥، ٨١ – ثمار المقاصد ص ٢٥٩ .

١١ – وجاء في المخطط اسم التربة الاخنائية وهذ خطأ . فهذه مدرسة فيها قبر الواقف ، محمد بن محمد الإخنائي المتوفى سنة ٨١٦ هـ . وهكذا يخلط المؤلف بين التربة والمدارس .

١٢ – ومثل ذلك قوله في المخطط « التربة الجقمقية » وهو خطأ . فهذه مدرسة أيضاً ، وفيها قبر الواقف . جددها سيف الدين جقمق نائب الشام سنة ٨٢٢ .

انظر : دور القرآن بدمشق ص ٢٧ – مختصر التنبيه ص ٧ ،

١٣ – وجاء في المخطط اسم « التربة الخلنجيه » وهذا من اغرب الاسماء. وما ندري كيف حرّف المؤلف الاسم . والاسم الصحيح «المدرسة القليجية» وقد أوصى بوقفها الامير سيف الدين علي بن قليج المتوفى سنة ٦٤٣ . وتمّ بناؤها سنة ٦٥١ هـ بعد وفاته . ومن اسم قليج جاء اسم القليجية .

انظر : البداية والنهاية ١٣ : ١٧١ – المحبّي ١ : ١٥٨ ، ٣٠٧ – سجل الكتابات ١١ : ٢ ص ١٧٨ ، ٢٤٩ .

١٤ – وجاء في المخطط اسم « جامع دنكز » وصوابه تنكز بالتاء وإليه تنسب دار القرآن والحديث التنكزية .

انظر : البداية والنهاية ١٤ : ١٨٨ ، ١٤ : ٨١ – نزهة الانام ص ٧١ .

١٥ – وجاء في المخطط اسم جامع الصابونية والاسم الصحيح « دار القرآن الصابونية » بناها التاجر أحمد بن سليمان الصابوني سنة ٨٦٨ .

انظر : درر القرآن ص ٨ – مختصر التنبيه ص ٨ – وقفية المدرسة الصابونية (مخطوطة) عند نسيب بك البكري .

١٦ – وجاء في المخطط اسم « تربة الشيباني » . وهو خطأ . والصحيح انها « التربة الجيمانية » وتنسب إلى الامير سيف الدين جيمان المتوفى سنة ٧٥٤ هـ .

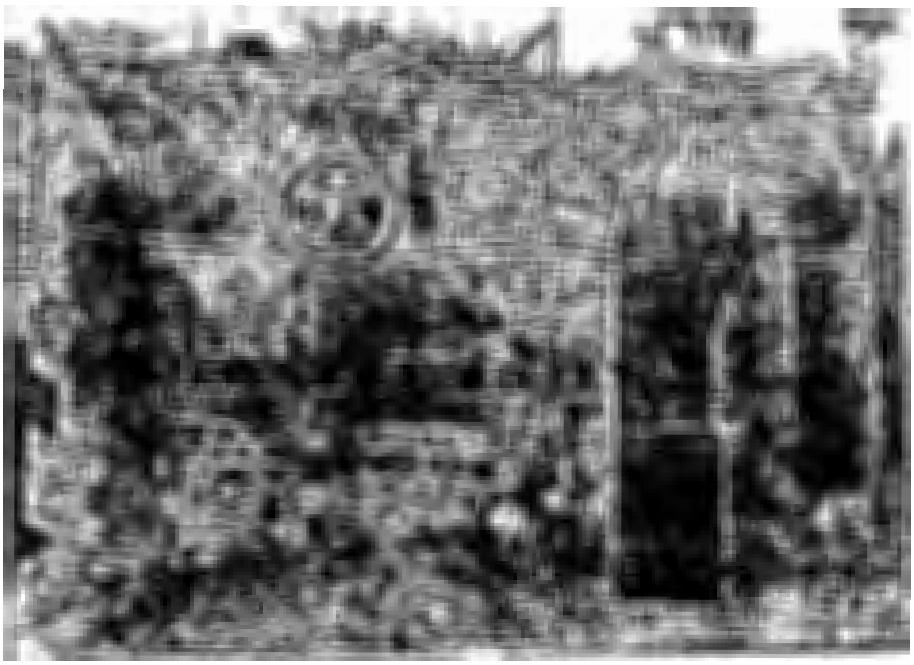

واجهة التربة الجيمانية

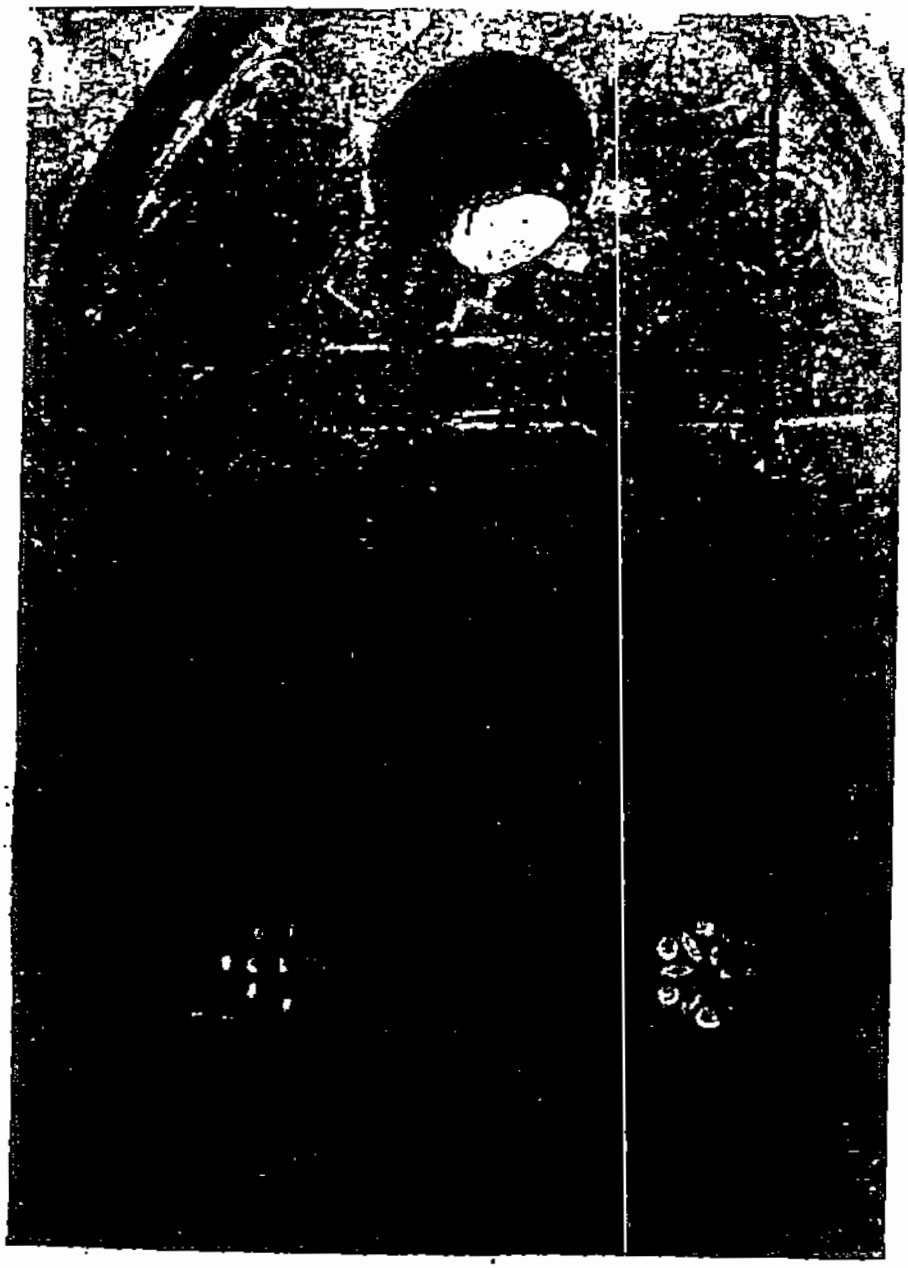

القرية الجيمانية من الداخل

وقد أخطأ جعفر الحسني في اسمها أيضاً فسماها الجيمائية ولا وجه لهذه النسبة . (في تنبيه الطالب) .

فهذه اخطاء وأوهام وردت في المخطط أما الاخطاء التي وردت في الكتاب ، فمنها :

١٧ — جاء في ص ١٠ س ٣ قوله : « إن مدارس دمشق صار عددها في القرن الثالث عشر نحو مائة مدرسة . » وهذه مبالغة خاطئة فلقد أحصينا ، المدارس التي بنيت في القرن الثالث عشر ، (حتى سنة ٦١٨ هـ الموافقة ١٢٥٠ م ،) فوجدناها سبعاً وستين مدرسة لا مائة . وقد ذكر أسماءها بالترتيب التاريخي كرزول في كتابه المسمى *The Origin of the cruciform plan*

وانظر أيضاً : مختصر التنبيه للحموي .

المدرسة المرشدية ومئذنتها

١٨ — في ص ١١ س ٢ ، قال : « حي ساروجة » وهو عامي . قال صاحب الاعلام (٢ : ٤٢٢) . هو ساروجا صارم الدين توفي سنة ٧٤٢ . والعامة تقول ساروجة .

انظر : شذرات الذهب ٦ : ١٢٨

١٩ — في ص ١٥ س ٢٢ ، قال عند كلامه على مئذنة العروس « وبنيت في عصر مليك شاه . » وأثبت الياء بعد اللام في مليك ، وهو خطأ . وصوابه « ملك شاه » و« ملكشاه » وهو أبو الفتح جلال الدولة المتوفى سنة ٤٨٥ هـ (شذرات ٣ : ٧٣٦) . والكتابات القديمة أثبتت اسمه كما أثبتنا . ففي قلعة حلب كتابة

ورد اسمه فيها « ملك شاه » نشرها سوبرنهايم (سجل الكتابات رقم ٢٧٦٩). وفي مسجد دمشق كتابة كوفية أثبتت اسمه « ملك شاه » (سجل الكتابات رقم ٢٧٣٧) .

٢٠ — وفي ص ١٦ س ٢ قال « وبناه نور الدين الزنكي » . وإدخال التعريف على زنكي من أخطاء العامة . ونور الدين لم يكن اسمه زنكي . بل كان اسم أبيه زنكي . واسمه هو محمود .

انظر الشذرات ٤ : ١٢٨

٢١ — وقال المؤلف عند كلامه على المدرسة النورية ص ١٩ س ٢ : « ودفن جثمانه (أي نور الدين) فيها عند وفاته » . وهذا القول غير صحيح . قال ابو شامة في الروضتين ص ٢٢٨ : « ودُفن نور الدين بالبيت الذي بناه في قلعة دمشق ازاء الصُفّة » وفي الشذرات (٤ : ٢٣١) « ودُفن في بيت كان يخلو فيه بقلعة دمشق ، ثم نُقل الى مدرسته التي عند سوق الخواصين . »

٢٢ — وقال ص ١٦ س ١٩ : « وكان الاطباء يعالجون المرضى فيه (أي في الايوان الشرقي من بيمارستان نور الدين) . وهذا خطأ . والصحيح ان هذا الايوان كان مخصصاً لتعليم الطب لا لمداراة المرضى ، قال ابن أبي أصيبعة : « وكان أبو المجد ابن أبي الحكم يجلس في الايوان الكبير الذي بالبيمارستان ، وجميعه مفروش ، ويُحضر كتب الاشتغال . فكان الاطباء والمشتغلون يأتون اليه ، ثم تجري مباحث طبية ويقرئ التلاميذ . »

انظر تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٢١٠ .

٢٣ — وقال ص ١٩ س ٦ : « وأهم أقسام هذا البناء — أي المدرسة النورية — الغرفة التي تحوي قبر نور الدين » ولا يُقال في العربية غرفة تحوي قبراً ، بل يُقال تربة . وقد نقل المؤلف قوله هذا عن الفرنسية فلم يحسن النقل . قال سوفاجه :

La partie la plus intéressante est la salle *du mausolée* qui renferme le tombeau de Nour ad Din.

٢٤ – وقال ص ٢٧ س٢ ان اسعد باشا كان مديرًا للحج . ولم أسمع أحدًا قال مديرًا للحج ، بل كان يُقال امير الحاج .

٢٥ – وقال في الصفحة نفسها س١٠ ، ان قصر العظم رغم حريق سنة ١٩٢٥ ما يزال محتفظًا باوضاع قاعاته الداخلية ، وما فيها من اخشاب مدهونة وهذا القول مطلق لا يؤيده الواقع . واذا كان الامر كما قال ، فأين الاخشاب المدهونة التي كانت في القاعة الكبرى ، واين السقوف الخشبية التي احترقت ؟

انظر دراستنا عن قصر أسعد باشا العظم .

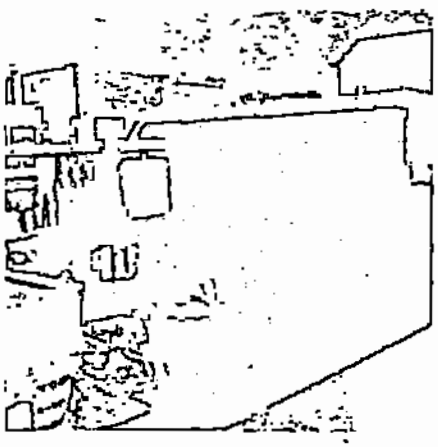

السلاملك في قصر العظم

٢٦ – وفي ص ٢٨ وضع المؤلف صورة لقصر العظم واثبت تحتها ما يلي :« صحن السلملك في قصر العظم » . وهذا خطأ ، لأن الصورة تمثل في الحقيقة صحن الحرملك .

٢٧ – وفي ص ٣٨ وضع المؤلف صورة الخوذة المشهورة الموجودة في متحف دمشق ، واثبت تحتها ما يلي « خوذة برونزية » وهذا خطأ ، فالخوذة من الحديد .

٢٨ – وأعجب العجائب عدم الأمانة التي تبدو في مخطط تدمر ، وقلب الحقائق . فمخطط تدمر الذي وضع في ص ٦٣ كتب عليه ما يلي «مخطط تدمر نقلت عن دليل تدمر للأب ستاركي» وقد أثبت المؤلف كلمة مخطط . وهذا غريب . ثم رجعنا الى مخطط الأب ستاركي ، فوجدنا مخطط الدكتور سليم عادل يختلف عنه اختلافًا كبيرًا . اذ تنقصه الدقة . فالدور التي في شرقي

المعبد والمسرح تبدو بقعاً سوداً . وقد خلط الدكتور عادل فيه بين القبور البروج ، والقبور المنازل ؛ بل ان دليل الأب ستاركي وضع شارة مربع صغير للقبور في البروج فكتب سليم عادل بجانب الشارة نفسها « المدافن الأقبية » . اي العكس ووضع الأب ستاركي شارة مربع صغير في وسطه نقطة سوداء للقبور في المنازل ، فكتب سليم عادل بجانب الشارة نفسها المدافن الابراج . ووضع الأب ستاركي شارة مربع اضلاعه نقاط للتدهن المحاط بالرواق فكتب سليم عادل المدافن المنازل . وفي هذا من قلب الحقائق وعدم الامانة في النقل ما لا يُسمح به .